وبصراحة، لم نتزعزع هنا في الوطن بعد ردة البيروسترويكا وفشل يانايف وانتقال غورباتشوف... فأهم مفاصلنا تشربوا النظريات الماركسية – اللينينية ودرسوا تجارب الثورات، في سجون الاحتلال، كما لم نتحمس للبيروسترويكا منذ البدء، وكان لنا موقف نقدي منها أعلناه في ورقة لـ م.س وكانت هي الورقة الأهم لأنها استندت لأكثر من ستين نصاً لغورباتشوف.

لقد زودتنا مرجعيتنا الفكرية بقوة معنوية هائلة وصوّبت تفكيرنا وساعدتنا في فهم قضايا عديدة بما فيها الإمبريالية – المشروع الصهيوني – "البرجوازية" العربية، سبل النضال، قوانين بناء الحزب... الخ، وخطابات الحكيم وتقارير مؤتمرات الحزب تشكل مادة خصبة لنا أيضاً.

والأكثر ألمعية منا يتابع المتغيرات العالمية وتأثيرها على الفكر النظري، وتأثيرات كامب ديفيد السادات على المنطقة العربية والعدوان الثلاثيني على العراق والتحولات التي طرأت على هياكل م.ت.ف بفعل البترودولار وحرب ٨٢ ... الخ.

والمقولة المهمة اليوم التي علينا استدعاءها من الفلسفة الديالكتيكية هي التحول، قانون التراكم الكمي، فأين وصلت التحولات بقيادتنا اليمينية؟ لا يجوز القول سادات فلسطين وبعدئذ وحدة وطنية، فاللجنة المركزية اقتربت من تخطئة الحكيم وقلة فهموا وانحازوا لتحليله. وها هي "برجوازيتنا" لا تفهم السياسة كما نفهمها، فهي أولاً ليست برجوازية أي برجوازية إنتاجية تنتج صناعة وزراعة ومدناً عصرية ومؤسسات وقانوناً وديمقراطية ليبرالية... ليتها كذلك لما ترددت في تأييدها وأنا الماركسي حتى النخاع، ولكن لاختلفت معها أيضاً. فبرجوازيتنا بيروقراطية وبعض عناصرها كومبرادور، تعتاش على البترودولار، فهي شريحة برجوازية من نوع معين، بل هناك تهامسات يرددها البعض سيما الحسن عن اقتصاد حر وسوق حرة لاسترضاء الليبرالية الجديدة تاتشر + ريغن + بوش، علماً بأن اقتصادنا ملحق وسوقنا متشظية وملحقة وأرضنا محتلة ومهوّدة فعن أي سوق حرة يتحدث؟ والتاكتيكات لدى "برجوازيتنا" أشبه بالبهلوانيات، تقفز هنا وهناك وتقول الشيء وعكسه خلال أيام، وتصل لوحدة وطنية وتخرقها في آن... فهل يوجد قائد وطني تحرري في الجزائر أو فيتنام أو أنغولا أو... أرضى السوفييت والصين والأنظمة العربية المتناقضة وتغازل أمريكا وأوروبا في نفس الوقت؟... لا أحد،سوى عرفات، فهو يتعاطى مع التاكتيك دون ضوابط واضحة أو خطوط حمراء... وإلا كيف يقول كادوك نقيضاً لكفاح مسلح عنيد خاضه سنوات وسنوات، وكيف يرسل كل الإشارات اللازمة للاعتراف بإسرائيل التي تحتل ٧٨٪ من وطنه... إنه يسعى للحصول على شيء وقد خذلته بل ذبحت الجغرافيا السياسية العربية البندقية الفلسطينية. غير أن الإمبريالية ليست بابا نويل لتوزيع الهدايا، وإسرائيل عنصرية حتى نخاع العظم ووجودها ومستقبلها نقيض وجودنا ومستقبلنا وهي ترفض تماماً الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وبالنكبة والتطهير العرقي عام ٤٨... مثلما رفضت منذ البدايات شعار الدولة الديمقراطية للجميع... واستشهاد أبو جهاد أفسح المجال لمزيد من التفرد لعرفات، وخروج وانشقاق انتفاضة فتح، سيما أبو صالح الذي كانت لديه اجتهادات فكرية وضوابط، ومن قبله استشهاد رئيس الإعلام الموحد في روما أبو شرار... أضعف أكثر فأكثر القيود على العقل الفردي، وشخصياً لا أعرف أين سيقود السفينة الفلسطينية، ومتى سيدير ظهره للمشروع الأمريكي